وقفات مع التغيرات الاقتصادية في بلادنا

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

حساب المواطن حديث استحوذ على مجالس الناس، وتناقلته وسائل التواصل الاجتماعي ، وتنوعت ردود الأفعال فما بين فرح ، وحزن ، وألم ، وأمل ، وحاسد ، وناقد ، وشاكر ، وساخر .

وما وقفت اليوم أنكر فطرة فطر الله الناس عليها ، فحبّ المال شهوة متغلغلة في أعماق النفس البشرية ، قال تعالى ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ العاديات: ٦ - ٨

وقال تعالى ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الفجر: ٢٠

ورسول الله يقول: ((يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ)) متفق عليه.

فالمال قوام الحياة ولا ضير ولا ريب على من يسأل عن ماله المستحق ليكشف عمّا له وما عليه ، وعن حاله وماله وعياله .

ولكن اللوم والعتاب على الغافلين عن شكر الله ، الساخرين بالعطية، المغردين في صفحاتهم همزا ولمزا وغمزا ، بما جاءهم من قليل أو كثير

أوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ

مَا هكَذَا يا سعدُ تُورَدُ الإبل

يا كرام ..

استأذنكم في وقفات نلامس بها قلوبنا، ونعظ بها أنفسنا قبل أن نعضّ أصابع الندم على نعم الله التي أحاطت بنا إحاطة السوار بالمعصم فغفلنا شكرها، قبل أن يشمت بنا الأعداء والحاسدين ولات حين مندم.

**الوقفة الأولى : مع الرضا والقناعة .**

نحن يا قوم بحاجة أن نرضى عن الله وعطائه ، يقول رسول الله : «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» رواه مسلم .

قال العلامة السعدي ~ : هذه الثلاث جمعت خير الدين والدنيا . بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ص167.

فالعاقل هو الذي يعلم أن العزّ كل العزّ في الرضا والقناعة ، وأن الذلّ والهوان في الجشع والطمع ، فأقدار الله كائنة لا محالة .

كان محمد بن واسع ~ يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: «من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد» إحياء علوم الدين (3/239).

ولكنّ النفس يا عباد الله إذا لم تلجم بلجام القناعة والرضا، تمرّدت، وبغت، ورحم الله الشافعي يوم قال:

رَأيْتُ القنَاعَة َ رَأْسَ الغنَى

فصِرتُ بأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكْ

فلا ذا يراني على بابهِ

وَلا ذا يَرَاني بهِ مُنْهمِكْ

فصرتُ غَنِيّاً بِلا دِرْهَم

أمرُّ على النَّاسِ شبهَ الملك

من هنا يقول رسول الله : «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ» رواه مسلم .

تالله يا قوم إنّ هذا الحديث ينبغي أن يخلد في سويداء قلوبنا، وتتناقله وتبثّه وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي ليلاً ونهاراً .

«انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»

الله أكبر ، يا لها من وصيّةٍ نافعة ، وكلمةٍ شافية ، وسياسةٍ نبويةٍ رائعة ، ودواءٍ لقلوبنا وجوارحنا التي شخصت إلى من فوقها ، فازدرت نعمة الله عليها ، فقلّ أن ترى شاكراً ، قلّ أن ترى راضياً قنوعاً ، ترى الواحدُ منّا يتقلّب في نعم الله تعالى ،

يشاهد المرضى على الأسرّة البيضاء ، والمشردين والجائعين والخائفين في الصحراء يلتحفون السماء ابتلوا بأعظم البلاء ، يرى من نزلت بهم الديون والهموم ، فأودعوا في السجون ، يشاهد من استولت عليهم الأحزان والوساوس ، وهو غافل عن نعم الله ، لا ينظر إلى من هو دونه بل ينظر إلى من هو فوقه ، فتراه قد حرم الرضا عمّا قسم الله له.

والنفـسُ راغـبـةٌ إذا رغّبتَـهـا

وإذا تُـرَدُّ إلـى قلـيـلٍ تـقنعُ

العَبدُ عَبدُ النَفسِ فِي شَهَوَاتِها

والحرُّ يشبعُ مرة ً ويجوعُ

ورحم الله من قال : القناعة كنز لا يفنى .

**الوقفة الثانية : مع الرزق .**

يا كرام .. كلنا يعتقد ويوقن أن الرزق حق مكفول لجميع الخلق، فو الله لو ركب ابن آدم الريحَ فراراً من رزقه لركب الرزقُ البرقَ حتى يقع في فمه ..

ولكن يأبى الشيطان بمكره وكيده إلاّ أن يزعزع هذه العقيدة في قلوب المؤمنين فأصبح الرزق همّاً جاثماً على قلوب العباد، ففي ظل التغيّرات الاقتصادية، والتقلّبات المالية، والرؤى المستقبلية أصبح كثير من الناس يعيشون هما وقلقا، من الرزق وذهابه، وحذرا من المستقبل وغيابه.

يا عبد الله قل لي بربك من القائل؟

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭼ هود: ٦

من الذي رزق الطير في الهواء؟

من الذي رزق الحوت في ظلمات الماء؟

من أطعم الحية في العراء، والدود في الصخرة الصماء؟

ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀﰁ ﭼ فاطر: ٣

لقد نسي كثير من عباد الله أن الرزق حبل ممدود بين السماء والأرض، فما خلق الله حيا من الأحياء، ولا دابة من دواب الأرض إلا وتكفل سبحانه برزقه ﭧ ﭨ ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ العنكبوت: ٦٠

يا عبد الله فوالله الذي لا إله إلا هو لو اجتمعت الدنيا بقضها وقضيضها ودولها وملوكها لن يمنعوك رزقا قد كتبه الله لك، ولن يسقوك شربة ماء لم يكتبها الله لك، يا عبد الله.. إن العقيدة التي يعتقدها المؤمن، إن الرزق لا علاقة له بالحسب ولا بالنسب ولا بالجنس ولا بالبلد، ولا بالعقل ولا بالذكاء، فالله يقسم رزقه على عباده كما شاء وكيف شاء ومتى شاء، فالرزق مقسوم ومضمون وموزون، لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهة كاره، يقول : «إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا » رواه البيهقي وصححه الألباني .

فالرزق أعظم من حفنة مال ، وأرضٍ وعقار ، فالإيمان رزق ، والعلم رزق ، والمحافظة على الصلاة رزق، والصحة والعافية رزق ، والأمن رزق ، والخلق الحسن رزق ؛ من هنا يقول «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» رواه البخاري في الأدب المفرد .

يا الله.. كم لنا من هذا الحديث أو فر الحظ والنصيب، فأين من يلهج لسانه بالحمد والثناء ؟

وهذا هو مفتاحنا للوقفة الثالثة في الخطبة الثانية

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ..

الثانية

**الوقفة الثالثة : مع شكر الله تعالى على نعمه وحمده على العطاء والبلاء ، والشدّة والرخاء ،** ونبينا يقول : «مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ» رواه البيهقي وصححه الألباني في السلسلة (404) .

فأين من يقول : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ» رواه مسلم .

أليس نبينا كان يلهج لسانه بهذا الدعاء ؟

نبينا الذي يقول عنه صاحبه أبو هريرة > : وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللهِ وَأَهْلُهُ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا. رواه مسلم .

نبينا الذي تقول عنه زوجته عَائِشَةَ < قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ» متفق عليه .

نبينا الذي كان يمرّ عليه الهلال ثمّ الهلال ثم الهلال في شهرين وما أوقد في بيته ناراً .

نبينا الذي يقول عنه عمر بن الخطاب لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ . رواه مسلم .

قال ابن الأثير : الدقل هو ردئ التَّمر ويابِسُه.

النهاية في غريب الحديث والأثر (2/127)

إنه النبي الذي كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ، ونحن اليوم نتسابق على عمليات التكميم لإنقاص أوزاننا من شدة النعم والشبع

إنه النبي الذي كان يضجع عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ .

هذا النبي الكريم هو الذي يقول : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ» رواه مسلم .

يا قوم متى نتأدّب مع الله ؟

يا قوم متى نتأدّب مع نعم الله التي لاتقف عند حدّ ، ولا تقع تحت عدّ ؟

فالفقير ، والغني ، والمريض ، والصحيح ، والمعاق ، والمعافى ، والأرملة ، والمسكين ، والأمير ، واليتيم كلّنا بحاجة أن نحمد الله ، وأن تلهج ألسنتنا بالثناء عليه ، فوالله قد نزل بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه ، فلا ندري ما نشكر ، أجميل ما ينشر ، أم قبيح ما يستر ؟

ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ إبراهيم: ٣٤

والله يا عبد الله نحن بحاجة أن نقول : الحمد لله بقلبٍ منكسر ، ودمعٍ منهمر ، يقولها المريض على السرير الأبيض ، ويقولها البائس الذي بات طاوياً ، ويقولها اليتيم الذي فقد أباه ، وتقولها الأرملة التي فقدت زوجها ، ويقولها أولوا النعمة والرخاء ، وأولوا الشدة والضراء ، فالله عز وجلّ قد أحدث لنا من النعم والخيرات ما لم يكن في السابقين من أسلافنا .

صدق الله تعالى ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ سبأ: ١٣

فحذاري ثمّ حذاري من زوال النعم بكفرانها ، والغفلة عن شكرها .

إذا كنتَ في نعمة فَارْعَها ... فإنّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ

ولا تحقرن صغير الذنوب ... فإن الإله شديد النقم

فهذه الدولة المباركة هذه الدولة الطيبة يتمنّى فئامٌ من الناس أن يعيشوا على ترابها ، ويدفنوا تحت أرضها ، فكم أنفقت في العلم والتعليم، وقدّمت للإسلام والمسلمين ، وبذلت للأرامل والمساكين لا أقول هذا تزلّفاً ولا تملّقاً ، فأنا مسؤولٌ بين يد الله عن كلّ كلمة أقولها على هذا المنبر .

سل عن هذه البلاد إخواننا المقيمين الذين نزل بهم البلاء في أنظمة فرضت عليهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، فما بين راغبٍ في البقاء ، وعاجزٍ عن الدفع والعطاء ، فهم في همٍّ وغمّ ،رأيناهم وهم يكفكفون الدمع والحسرات على فراق بقعةٍ نشأوا في بقاعها ، واستوطنوا في ترابها ، وحالهم كحال القائل :

رقص التذكـّـُر والنـّوى ناداني

حَنَّ الفؤاد لموطن ٍ آواني

الأهل فيه وصُحبتي وأحبتي

والدارُ لا أنسى مَعَ الجيران ِ

في كـُلّ يوم ٍ موطني في خاطري

والقلبُ يَخفـِقُ دائمَ التَّحْنان ِ

لا المالُ يُنسي أنـَّني متغربٌ

كُلُّ النعيم فلا أرى أنـْساني

لو عشت ُ في أدنى الخيام ِ بموطني

لـَيَفوقُ عندي أرفعَ البنيان ِ

مُتـَغَرِّب ٌبالجسم أحيا غـُرْبتي

وهناك في وطن ِ الجدود ِ جَناني

في كـُلِّ رُكْنٍ لي هنالك قصة ٌ

في مسجدي في حَلْقة ِ القرآن ِ

في سَهْرة ٍ مَعَ أسْرتي وأقاربي

في مجلس ٍ للصَحْب والخلان ِ

أين الْـتـَفـَتُّ ولو لحبة ِ رملةٍ

مهما ذكرتُ تَهَيَّجتْ أشجاني

الحـُرّ ُ يَأبى أنْ يبيعَ حبيبهُ

لو كان مهما كان من أثمان ِ

الحـُرّ لا يرضى ببيعٍ آثمٍ

هذا وربي أقبحُ النـُّكْران ِ

وطني الحبيب فلا ولـَسْت ُ أبيعُهُ

لا والذي من نطفة ٍ سَوّاني

ووصيتي دفني به هـِيَ مـُنـْيَتي

من أجل ذاك مُجَهـِّزٌ أكفاني

فنعوذ بالله من الأمن من مكره، نعوذ بالله من أخذه إيانا بغتة، نعوذ بالله من زوال نعمته، وتحول عافيته ، وفجاءة نقمته ، وجميع سخطه؛ فطوبى لكل عبد شكور .

**انتهت الخطبة**